العلاقات الاقليمية لمدينة هيت القديمة

د. مشعل فيصل غضيب المولى
جامعة الانبارـكلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

د. نظير صبار حمد المحمدي
جامعة الانبار ـ كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم التاريخ

مقدمه

تقوم المدينة لتؤدي عملا ولكنها لا تقوم في فراغ ، وإنما وسط إقليم تأخذ منه وتعطيه فهي من الريف أو هكذا كانت وله .

ولعل هذا الأخذ والعطاء هو الذي يجعل المدينة حقيقة جغرافية كاملة ومميزة ، ذلك هذا الأساس يمكن القول بان وظائف المدينة من الناحية المكانية نوعان:

أ.وظائف محلية

ب.وظائف إقليمية

فالوظائف المحلية هي التي قامت من اجلها المدينة ولا يتوقف وجودها على غير هذا إما الوظائف الإقليمية في تابعة مكملة اذ يعتمد وجودها على الوظائف المحلية الأساسية ولا جدال في انه كلما زادت الوظائف أهمية زادت نمو الوظائف الإقليمية وقويت العلاقات المتبادلة.

لقد مرت العلاقات الإقليمية في مدينة هيت بتطورات خلال التاريخ ، وهذه العلاقات اتسعت وضاقت فيما يتناسب وحجم المدينة وبنيتها الوظيفية وأهميتها السياسية فضلا عن شبكة النقل ودرجة مركزيتها التي تؤثر في مساحة هذا الإقليم وحجمه.

وهذا لا يعني إن هناك إقليم معين تختص به المدينة بل قد تتعدد الأقاليم وتتباين في حجم الانتشار الوظيفي فيما يتناسب وتنوع الوظائف الحضرية ا للمدينة مع إقليمها وقوة تأثير كل وظيفة ومدى ما تتعرض له من تمدد وانكماش في إدارتها.

وفي هذا البحث نحاول الاقتراب من الدور الإقليمي لمدينة هيت القديمة معتمدين على المصادر التاريخية الموثقة وكذلك الاستنتاج الشخصي .

واستندت الدراسة على الافتراض الآتي :

تتمتع مدينة هيت القديمة بعلاقات إقليمية متنوعة وصلت خارج حدود العراق وانسجاما مع هدف وفرضية البحث تم تقسيم مفردات البحث على النحو الأتي.

- موقع المدينة ونشأتها

تقع مدينة هيت عند دائرة عرض٢٨ ً ٣٣ ٰ شمالا وخطي طول ٥٣ ً ٤٢ ٰشرقا فْهي بذلك تجمع بين خصائص السهل والهضبة والنهر والصحراء فهي لم تشهد تغيرا لموقعها من مدينة الرمادي التي تقع الى الجنوب الشرقي منها بنحو ٦٠ كم.

يحدد ياقوت الحموي طريقة القراءة لاسم هيت وذلك بكسر الهاء وتسكين الياء ، كما يحدد موقعها الجغرافي في مدينة تقع على الضفة اليمنى من نهر الفرات ويستكمل ابن خلكان وصف طبيعتها حيث تأثر فيها بساتين النخيل والفاكهة وذات خيرات واسعة ولم يغفل اللغويون نصيبهم من التفاصيل فارجعوا الكلمة إلى جذورها وقالوا بان المدينة سميت كذلك لأنها في (هوه من الأرض)[١] .

والأصل فيها هوت وحين نسال ماذا جرى حتى تتحول هوت إلى هيت ؟ كان الجواب في إطار تخصصهم صارت الواو ياءً لسكونها وانكسار ولكونها غير متخصصين .

ننسحب من الميدان مقتنعين بان الهاء المكسورة على ما يبدو يصعب نطقها مع الواو الساكنة وكذلك قلبو الواو الى حرف علة مناسب هو الياء لكي يسهل التلفظ ، نتوهم إذا ساورنا الاعتقاد بان علماء اللغة العربية وحدهم من انتقل بهاء هيت وواءها وبالاشتقاق والإبدال والتحوير فقد كان الأقدمون أكثر عناية بالمدينة ومنحوها في كل عصر اسماً او لقباً بقدم الحضارات التي تعاقبت عليها حتى أصبحت مع الأيام تنوء بالمسميات والألقاب والأوصاف ففي المصادر السومرية وردت دل-دل ، والاكديون بدورهم سموها آتو ولفضها البابليون ادوم-هيتوم ولاتكاد تخرج عن هذه المعاني من المصادر اليونانية والرمانية في نصوص التمود كما ذكرها بطاليموس باسم اديكار المشتقة من أد وتعني المنطقة القيرية.

ولا خلاف على ان التعاقب المستمر على ايراد اسم هيت بدءا من كتابات السومرين المسمارية وانتهاءً بكتابات البلدانيين المتأخرة في العصور الإسلامية يؤكد مما لا يدع مجالا للشك بان هذه المدينة موغلة في القدم وبأنها احد مكونات التاريخ الإنساني القديم ، ولعل الانتشارات الكثيرة العلمية والاجتهادية من جذور هيت القديمة هي التي قادت المرحوم الأستاذ الدكتور سعدي محمد صالح السعدي الى القول ان هذه المدينة هي إحدى المواقع البعيدة قدم تحضرها[٢] وليس غريبا ان تلد فكرة اعتبارها الموطن الأول للتحضر أي أنها القرية الأولى التي تحولت بعد التراكمات الوظيفية والفكرية إلى مدينة فكانت المركز الأول للتحضر. وإذا كانت بعض المصادر الأجنبية قد اعترفت بان العراق هو أول من شهد بدايات التحضر في العالم نتسائل أين نعثر على دلائل لهذا الوطن؟ وهو سؤال مهم يتضمن إشارة واضحة إن مدينة هيت هي من المواقع الرئيسة في خارطة الوطن الأول للتحضر.

ثمة العديد من الدراسات الأثرية الحدية فد أثبتت بان تاريخ الاستيطان في مناطق أعالي الفرات التي تقع هيت ضمنها يعود زمنه إلى عصور موغلة في القدم حيث عثر فيها على أدوات حجرية من العصر الحجري القديم الأسفل الذي يؤرخ له بحدود نصف مليون سنة من قبل الان .فكان الدكتور سعدي يؤكد في مكان أخر من دراسته[٣] بان هيت هي المدينة الوحيدة التي تقع عند بوابة السهل الرسوبي الأعلى على الفرات وهي بذلك تقع عند نهاية الحافة الهضبة ، وفي الموقع الجغرافي لاتشبهها أية مدينة أخرى على الفرات لأنها استطاعت أن تجمع بين أكثر من مكون جغرافي أخر سمح للأنشطة الجانب إن تتبلور على أفضل صورة منذ عصور التاريخ المبكرة (خارطة ١).

إن هذا الموقع الجغرافي ليس هو الوحيد الذي وهبها هذا الحضور التاريخي المتميز ، فثمة عوامل اقتصادية ودينية وسياسية تضافرت لرفد هيت بأسباب التحضر.

-العلاقات الإقليمية

لمدينة هيت علاقات مع المحيط الإقليمي امتدت ومنذ القدم في العديد من المجالات التي سنوضحها وفق الترتيب الأتي .

أولاً:العلاقات الاقتصادية

لمدينة هيت علاقات اقتصادية تغوص في الماضي إذ اشتهرت ومنذ القدم بالنفط والقير ، إذ كان له الأثر البارز في حضارة العراق ، فقد استعمل في البناء والتبليط وسفلتت الطرق وصناعة السفن وتثبيت مناجل الصوان في مقابض العصر الحجري الحديث الى نحو ١٠٠٠٠ سنة كما استعمل في صناعة بعض الأدوات المنزلية وتذكر المصادر التاريخية إن هيت كانت المصدر الرئيسي لسكان القسم الجنوبي من العراق فمن هيت نقل القير لبناء بابل[٤] . وقد أثبتت الدراسات العلمية في الوقت الحاضر ان القير المستخدم في مباني مدينة بابل قد جلب فعلا من مدينة هيت التي يحوي قيرها على نسبة عالية من الكبريت تتراوح بين ٣-٩% وهو مصنف ضمن الأنواع الجيدة من الكبريت مما يجعله صالحا لأعمال البناء والإنشاءات المختلفة[٥].

كما استعمل النفط وعلى نطاق إقليمي وبخاصة النفط الذي أطلق عليه سكان وادي الرافدين القدماء اسم زيت القير ، وتشير المصادر إلى أن المصريون القدماء كانوا يستوردون النفط من العراق لحاجتهم إليه في التحنيط وصنع المومياء وكانت هيت ابرز المدن العراقية القديمة التي تجهزهم بذلك[٦].

وتكشف المصادر إن هيت كانت في العصر البابلي مجموعه من أكواخ صغيرة وكانت أرضها مستوية تحاذي منابع القار والزفت ، كان يأتيها عمال كثيرون من بلاد مطلع الشمس ومن مدينة بابل إلى مدينة هيت ليعملوا في تحضير القار والزفت لاستعماله في البناء وتبليط الطرقات والأزقة وكان عملهم منظم فمجموعة من العمال تبقى في بابل لتحضير الطابوق وارخى تذهب إلى هيت لبناء السفن ويصنعون القار والزفت ، ويعد تكملة العمل تملا السفن بحمولتها من القار والزفت وترسل مع نصف العمال إلى بابل ،أما النصف الأخر فيبقى في هيت لبناء السفن وتصنيع القار والزفت وتخضيره ولزملائهم ليكون جاهز عند عودتهم من بابل سيرا على الأقدام.

خارطة رقم (١)

العلاقات الاقتصادية لمدينة هيت القديمة زمن الاكديين ـ البابليين ـ الاشوريين

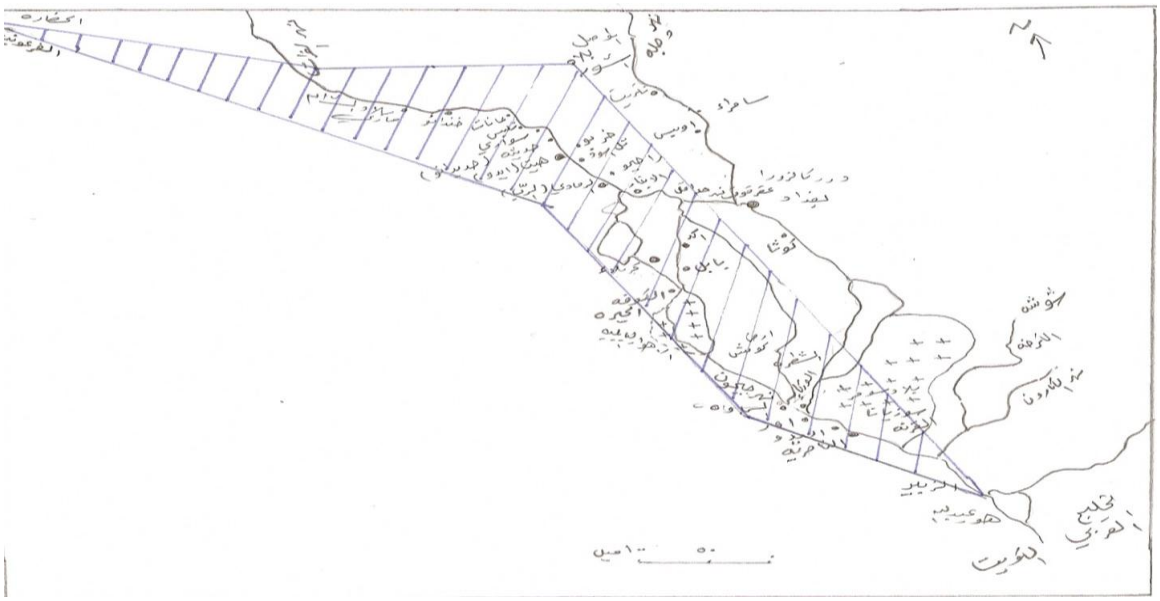

المصدر:من عمل الباحث با الاعتماد على طريق القير الى بابل ، ص ٩ ، واحمد سوسه كتاب الرافدين ص ١٣ ، طه باقر ، فؤاد سفر ، المرشد ، ابراهيم سلمان الهيتي ، تاريخ مدينة هيت ، ص٦٥.

إن العمال البابليون الذين يبقون للعمل في هيت هم الذين قاموا بتطوير المدينة بعد أن كانت مجموعة من العشش والبيوت الصغيرة كذلك هم من فكر بحفر خندقها وبناء أسوارها[٧].

ومن تلك المصادر يبدو إن المدينة كانت كثيرا ما تزامن ذكرها مع مادة القير مما دفع الباحثين الى افتراض علاقة بين اسم المدينة وبين الكلمة الاكدية (اتيوم) التي تعني القير السائل والتي تلفظ في اللغة السومرية (اقيرا) التي تعني حرفيا روث (فضلات الهز) وهو وصف يكاد ينطبق حرفيا على القير الموجود حوالي هيت الذي تطفو أجزاء منه فوق سطح الماء[٨].

وفي الحقيقة فانه لا يمكن الجزم أي الاسمين اسبق ، ومهما يكن من أمر فان ذلك من يعني إن تاريخ المدينة واستثمارها لمنابع القير ومقالع أحجار الكلس حواليها يعود إلى فترات قديمة ترجع زمنها للعصور السومرية المبكرة او العصر الاكدي أي نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني ق.م .

وبقيت المدينة على أهميتها وعلو شأنها اقتصاديا في اغلب العصور وبخاصة في العصر البابلي القديم والحديث والعصور الأشورية اذ تشير المصادر بان مدينة هيت كانت واحده من الأقاليم المهمة التي كان عليها إرسال كميات من الضرائب المفروضة عليها إلى ملك أشور آنذاك (تجلات بلاسر الأول ١١١٥-١٠٧٧ ق.م) إذ كانت من المدن الحدودية المهمة للمملكة الأشورية منذ بداية العصر الأشوري الوسيط فورد اسمها idu القريبة من لفضها الحالي هيت[٩].

أما في العصور الإسلامية فقد لعب دور المخزن والمتجر بين البر والنهر وبين السهل والهضبة . كما تربطها علاقات اقتصادية مهمة مع ريفها المحيط فكانت تقصدها القوافل التجارية القادمة من والى بلاد الشام وشهدت آنذاك مبادلات تجارية خاصة في صناعة التمور (الدبس) وبيع الحصران والبسط وصناعة الأدوات المنزلية التي وصلت إلى العديد من المدن العراقية خاصة صناعة الدبس والراشي وصناعة الصابون والحقائب اليدوية وصناعة البتي . كما ظهرت عدد من الصناعات النسيجية مثل العبي والبسط وصناعة الفخار ويستفاد منها محليا وضمن الإقليم الكثيف (مدن أعالي الفرات وكبيسة والقرى المجاورة) . كما ان ورش الحداده والنجارة كانت أيضا تقدم خدماتها للمشترين على الطريق الدولي من بلاد الشام باتجاه العراق فضلا عن خدماتها المحلية لأبناء المنطقة والمحيط القريب. لاحظ خارطة (٢).

أما العلاقات الزراعية فاقتضت حاجة سكان المدينة الزراعية إلى دفع الماء من النهر إلى الأرض المجاورة لذلك ابتكروا ابناي المدينة القدماء الناعور وأجريت عليه تحسينات حتى أصبح ما شاهدناه يعمل والى أمد قريب . وقام هذا الناعور بواجبه خير قيام ولسنين طوال حتى أخذت القرى المجاورة في أعالي الفرات صناعة الناعور عن مدينة هيت[١٠].

إن خصوبة الأرض ووفرة المياه وملائمة المناخ واليد العاملة عوامل جعلت من هيت منطقة زراعية اشتهرت بنخيلها[*] وأشجارها وفاكهتها المتنوعة ومحاصيلها الزراعية الأخرى فكانت ولاتزال أكثف منطقة في لواء الرمادي ، فقد ورد ذكر البساتين الرائعة وطيب ثمارها التي أتى على وصفها أبو عبدالله محمد بن السبنسي شاعر يصف سيف الدولة وأقوال ابن بطوطة والبلدانيين [١١] ، وذكر أبي نؤاس فر خمرتها المنسوبة لقرى هيت وعانات المستخلصة من كرومها أي أن رواجها كان ليصل إلى بغداد آنذاك وكانت هذه المنطقة كثيرة الأنهار والجداول ومشاريع الري[١٢].

ومن الجدير بالملاحظه أيضا إن قرى الناووسه والوس وقرى جبى تعد من قرى هيت وكانت تكثر فيها فاكهة البلاد الباردة والحارة كالجوز واللوز والتمر والنارنج[١٣] والتي تسوق إلى مدينة هيت لتنقل مرة أخرى إلى مدن وسط العراق وجنوب وشماله وكان للملاكين القدامى اثر في تطور الزراعة وأعمار الأرض وزيادة علاقة المدينة التجارية معتمدة من تسويق السلع الزراعية وكان أشهر ملاكيها حتى نهاية العهد العثماني آل كعود وآل قوام الدين وآل خطيب وآل ياسين وغيرهم[١٤].

العلاقات السكانية

ترتبط مدينة هيت القديمة بعلاقات سكانية مع إقاليمها المماسه وغيرها من المدن والأقاليم البعيدة ، وتبرز هذه العلاقة من خلال استقطابها للسكان من اقليها بما في المراكز والأرياف والبوادي التي جاءت بفعل عوامل متعدده أبرزها العامل الاقتصادي والعامل الاجتماعي والدفاعي فالعامل الأول كان لتوفر عيون القير يكثر اثر ان يقصدها سكان العراق القدامى لأسباب ذكرناها سابقا.

إن واقع الحال في معظم المباني العراقية كانت تسعى للحصول على هذه المادة ولكن البابلين أكثر عناية به وان العمال(*) الذين يأتون من بابل إلى هيت بأعداد كبيرة بعد تهيئة يعونه في السفن لإرساله الى بابل مع مجموعه منهم في حين تبقى مجموعه ثانية في هيت لعمل السفن جديدة وتحضير القار لزملائهم الذين يتركون السفن في بابل ويصطحبون السفن الجديدة بعد أن تملأ بالقار والزفت ، لاشك في إن هذا الوضع قد استمر ولسنين عديدة قد احدث في إيجاد علاقات اجتماعية ربما وصلت إلى مراحل متقدمة انتهت بالمصاهرة والزواج بين العاملين القادمين من بابل وأبناء مدينة هيت والتي سببت بأخلاط الأنساب ، وهناك ثمة إشارة إلى وجود محله في بابل تسمى محلة (الهيتاويين)[١٥].

أما العامل الثاني (الاجتماعي والدفاعي)

بعد أن اخذ بني البشر يغزوا بعضهم بعضا عمد سكان المدينة بتطوير أسوارها وأحاطتها بخندق لتوفير قدر عالي من الحماية للمدينة وسكانها وهذا كان عامل جذب لكثير من سكان المناطق المجاورة للاحتماء ، إن هذا التجمع افرز نظام اجتماعي متعايش يمكن أن يؤمن حمايتهم من المؤثرات والاعتداءات الخارجية[١٦] لذلك نستطيع القول إن مدينة هيت في بدايتها تكونت من توطن قبائل العرب المستقرين والمزارعين الذين تربطهم علاقات قوية مع مناطق مجاورة رابطة الانتساب فضمت المدينة حتى وقت قريب أصول قبلية يرجع قسم منها إلى العقيلين والذي يتركزالقسم الأكبر منهم في مناطق الموصل وقسم أخر من الدليم والطائين والموالي الذين استقروا على ضفاف الفرات وضمن بواديه ولاتزال هذه العلاقات السكانية قائمة على أساس التزاور الاجتماعي المتبادل والمصاهرة . ومما يذكر في هذا الباب ان قسما من أهالي هيت نزحوا إلى مدن الرمادي والفلوجة وكبيسة ودن حديثة والقائم ونزحوا الى بغداد في أواخر الحكم العثماني هربا من الأمراض التي ابتليت به المدينة وذلك عندما ضلت معظم محلات بغداد من سكانها الذين أبادتهم[١٧].

وأخذت العلاقات السكانية الاجتماعية ابعد من ذلك حتى وصلت إلى البصرة (الكاظمه) على الخليج العربي إذ تقول الروايات إن قناة اسمها (سعدى الاحمد) بنى لها أبوها قصرا لا تزال أثاره باقية لحد ألان خطبها احد أمراء البصرة بعد مهرا صعبا وهو شق نهر من هيت إلى البصرة وتزف فيه وسمي باسمها وعاشت في البصرة زمنا في محلة تسمى (المشراق) ولازالت هذه المحلة تسمى بهذا الاسم وان اهل البصرة يروون هذه القصة كما يعرفها أبناء مدينة هيت[١٨].

العلاقات السياسية والإدارية

تشير النقول التاريخية إن مدينة هيت تتمتع بعلاقات سياسية وإدارية متطورة ومنذ فترات مبكرة من تاريخ المدينة إذ واكبت هذه المدينة العصر السومري القديم الذي أسس حضارة بلاد ما بين النهرين[١٩].

ومن النصوص المسمارية التي ورد ذكر المدينة نص يعود إلى الملك سرجون الاكدي الذي حكم عام ٢٣٧١-٢٣١٦ ق.م ، وكانت هيت احد أهداف حملت لتوحيد مملكة ماري – بلاد الشام .

ومن العصر الاكدي أيضاً عثر على تمثال برونزي عليه كتابه مسمارية تسرد انتصار الملك نرام سن في تسعة معارك حربية خاضها في سنة واحدة وهذه الأسماء معروفة في بلاد وادي الرافدين

ومنها مدينة توتول وقد كانت تسمى هيت ، وهذا يعني إنها كانت تتبؤ مكانة توازي مكانة أمهات المدن العراقية الأخرى وان نفوذها كان من الأهمية والخطورة بما يؤهلها لتحارب ذلك العاهل العظيم ويبدوا استنادا الى نص سرجون الاكدي السابق الذكر وهذا النص إن المدينة كانت ضمن المملكة الاكدية وإنها استقلت عن العاصمة اكد بعد زمن حكم سرجون او في الفترة التي استغل فيها نرام سين حروبه مع أقوام اللولوبو شرقي بلاد الرافدين مما اضطره الى تجهيز هذه الحملات لإعادة فرض سيطرته على مدينة توتول وغيرها من مدن بلاد الرافدين وضمها لمملكته[٢٠].

ومن النصوص المسمارية التي ترجع الى زمن كوديا الذي جكم بحدود ٢١ق.م نقرأ منها انه استورد نوعا مميزا من القير من منطقة Madga القريبة من موقع هيت[٢١].

ويمكن أن نكتشف من تلك الرواية إن منطقة هيت وما حولها كانت معروفة منذ ذلك الوقت بانتاج القير وانها ربما كانت تتمتع باستقلالها من الكوتيين الذين سيطروا على مناطق من وسط العراق وشرقيه بعد الإطاحة بحكم الاكدين.

وتعد مدينة هيت مدينة رئيسة في العصر البابلي القديم اذكرها الملك حمورابي بحدود١٧٩٢-١٧٥٠ق.م في قانونه مع عدد من مدن العراق التي نالت اهتمامه ويبدو أن حمورابي قد ضم المدينة بعد الحملة الكبيرة التي قادها ضد ملك مدينة ماري بحدود ١٧ ق.م وتمكن من إخضاعها لمملكة بابل[٢٢].

ثم يرد اسم المدينة في نصوص العصر الأشوري الوسيط جاء فيها إن الملك الأشوري ريش ايش ١١١٧-١١١٦ ق.م صد هجوما قام به نبوخذ نصر الأول على مدينة زانقو.

وايدو (هيت) التي تعد من المدن الحدودية الغربية الهامة للملكة الأشورية . ويتكرر ذكر اسم المدينة بصيغة (idu) القريبة من لفظها من الاسم الحالي من نصوص الملك تجلات بلاسر الاول ١١١٥-١٠٧٧ ق.م ومنها يتبين إن مدينة هيت كانت من الأقاليم المهمة التي يعتمد عليها في الحصول على الضرائب.

وفي نصوص ترجع إلى الألف الأول ق.م يرد اسم (idu) أخرى وذلك من نص للملك اوديراري الثاني ٩١١-٨٩١ ق.م الذي بسط نفوذه على المدينة وضمها إلى مملكته بعد انفصالها عن مملكة اشور[٢٣].

إما خليفته توكولني تنورتا الأول ٨٩٠-٨٨١ق.م فقد اخضع مدن أعالي الفرات وانه عسكر قرب منابع القير قبالة ايدو(id)[٢٤].

وكانت هيت وعانات زمن الهيمنة الفارسية مضافة الى طسوج الانبار وهو من طساسيج الإسكان العالي وقد وضعت معركة القادسية ١٥هـ-٦٣٧م بداية النهاية لانحسار السيطرة الفارسية على العراق ولكن ضلت تقسيماتهم الادارية معمولا بها فترة من الزمن[٢٥] وتعد مدينة هيت من أقاليم السواد إلى إن حفر خندق من هيت عبر الياديه وصولا إلى الابلة وضعت عليه المسالح لمنع الغزوات من قبل اهل البادية[٢٦].

وأشارت بعض المصادر إن هناك قرى ومراكز حضرية وريفية ومعسكرات تقع إلى الغرب من هيت تابعة لها إداريا منها موضع العصا وتنسب إلى عصا جذيمة الابرش وهو موضع على الفرات بين هيت والرطبة تبعد ١٣ كم عن هيت[٢٧] وكذلك حصن بقة ويبعد فرسخين من هيت كان ينزل فيه جذيمة الابرش[٢٨] ومكان أخر يدعى القيوم الذي قتل فيه مروان بن محمد بن مروان أخر الخلفاء الأمويين وقرية جبى وهي ناحية تقرع غرب هيت[٢٩] .

ويبدو ان المدينة كانت مركز أمها من مراكز السياسة والإدارة قال عنها ياقوت الحموي[٣٠](كانت دار مملكته الحيرة والانبار ويقه وهيت وعين التمر وأطراف السير إلى العمير إلى القسطصطاته وما وراء ذلك .

وقد توالى حكمها عدد من الأمراء مالك بن فهر بن دوس احد ملوك الحيرة ثم حكمها عمير بن سعيد في زمن عمر بن الخطاب ﷺ [٣١] ودخلت مدينة هيت في زمن العباسين الى ولاية احمد بن طولون (٢٧٩-٢٨٩ هـ)[٣٢] واقاموا بها بنو عقيل أماره بقيادة احد أمرائهم المدعو بهاء الدولة مروان العقيلي (سنة ٣٨١هـ) ثم خلفه إخوانه وكان اخر ارمائهم محمد بن رافع حتى ضعف نفوضهم والذي تولى حكم هيت (معن العقيلي)[٣٣]وفي فترة القرن الخامس عشر الميلادي (زمن العثمانيين) كانت هيت جزء من إمارة آل أبو ريشه الممتدة من أعالي الفرات وبواديه (١٥٧٥م-٩٨٣هـ)[٣٤] وكانت إداريا تقع ضمن سنجق بغداد حتى نهاية عهد العثمانين وأصبحت مركزا إداريا لناحية هيت التابعة إلى قضاء الرمادي حتى نهاية الخمسينات من القرن الماضي[٣٥].

العلاقات الثقافية والتعليمية

تعد المدينة مصدر إشعاع فكري وتربوي وتعليمي اتسع ليصل إلى مناطق واسعة من العراق وعلى مستوى الحضارة الإسلامية.

فأشارت المصادر إلى أن هيت كانت قريبة من مركز ثقافي مرئي وهو الحيرة ازدهرت فيه ثقافات دينية قبل الإسلام وان لموضع (بقه القريب من مدينة هيت دور في نشأة الخط العربي الذي تعلمه أهل الانبار ثم تعلمه أهل الحيرة من أهل الانبار كما قال البلاذري[٣٦] ويروى ان بشر بن عبدالملك الكندي علم أهل مكة الخط وكذلك وصل إلى آهل الطائف وان بشر بن عبدالملك مضى إلى ديار مصر فعلمهم الخط حتى آتى إلى الشام فعلمهم الخط . وقال الأصمعي إن قريشا سئلوا من اين لكم الكتاب؟ يعني الخط فقالوا من الحيرة وقيل لأهل الحيرة من لكم فقالوا من الانبار وهذا يؤكد الرواية من الثلاثة الطائيين الذين اجتمعوا في بقه ووضعوا الخط ثم انتشر من بقه التي كانت تابعة إداريا الى مدينة هيت[٣٧].

وجدير بالملاحظة إن هيت كانت من المراكز الثقافية في العصور الإسلامية وعلى هذا المعنى تكلم ياقوت الحموي[٣٨] إن سقي الفرات كورا منها الانبار وهيت وقد نسب إليها قوم من رواة العلم ، وفيها دفن احد طلبة العلم ورواته المشهورين وهو عبدالله بن المبارك الذي تعلم على يد سفيان الثوري واخذ عنه الاوزاعي وله عدة مؤلفات في الفقه والتفسير والزهد والبر والتاريخ والجهاد وكثيرين من أهل العلم أو والمشتغلين بالتأليف وانتسبوا إلى هيت[٣٩].

لقد برزت في مدينة هيت ملامح النهضة الثقافية من إنشاء المدارس ودور القرآن والحديث الشريف فضلا عن المساجد التي تعقد فيها حلقات التدريس لمختلف العلوم إذ أسهم علماء المدينة بتدريس العلوم الشرعية فضلا عن اللغة العربية فبرز عدد من الطلبة الذين اخذوا العلم عن شيوخ مدينة هيت ثم رغبوا في الحصول على المزيد منه خارج حدود المدينة فارتحلوا إلى بغداد والتحقوا بمدارس واخذوا عن شيوخها وعلمائها فتأهل قسم منهم للتصدر والتدريس في بغداد وهيت ورغب قسم منهم في الحصول على علو الإسناد وفي رواية الحديث الشريف فرحلوا الى الموصل واربيل والكوفة والحله . ان علماء هيت فيهم اللغوي والأديب والمقرئ والفقيه والمحدث والمعلم والشاعر والزاهد وهم على قلتهم تركوا أثار بصماتهم في صفحات تاريخ مدينة هيت الحضاري وفي بناء الحضارة الإسلامية[٤٠] خارطة رقم (٢).

خارطة رقم (٢)

العلاقات الثقافية والتعليمية لمدينة هيت القديمة فترة العصر الاسلامي

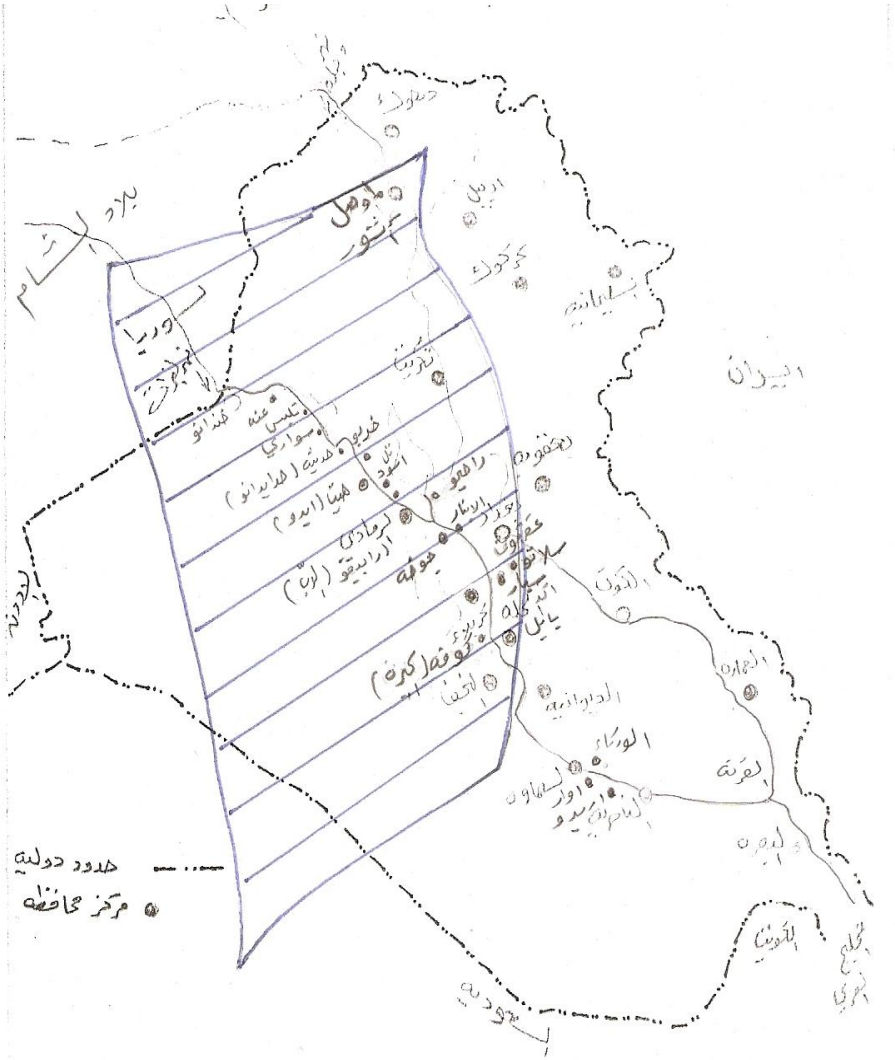

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد ندوة هيت لسنة ١٩٩٨ ، ص ٩٣ كذلك رشاد الخطيب ، هيت في اطارها القديم والحديث ، ص ٤٣ . و كتاب وادي الرافدين ، ص٨٤. وطه باقر المرشد ، ص١٣.و سلمان الهيتي ، تاريخ مدينة هيت ، ص٦٥

العلاقات الدينية

إن لمدينة هيت أهمية دينية منذ أيام الاكديين فقد ذكر عن الملك سرجون الاكدي (٢٣٧١-٢٣١٦) قبل الميلاد انه انعنى أما اله الحبوب (داكان) الذي اتخذ الها على امتداد وادي الرافدين الاوسه فأعطاه الاله داكان المنطقه العليا والتي تتضمن ماري وايلا وجبل الفضه وجبال طوروس وقد انتشرت عبادته عند الأقوام الجزرية في أعالي الفرات وبلاد الشام على وجه الخصوص[٤١] على اعتبار أن موضع هيت كما جاء في التوراة كان من مداخل الأرض السفلى التي يحكم فيها الهه خاصون بها .

ويبدو إن الملك حمورابي ذكر المدينة مع الاله داكان وقد ضمها الى نفوذه في الحملة الكبيرة ضد ملك ماري وإليكم النص الذي قاله حمورابي (المسيطر على المدن عند نهر الفرات يوحي من خالقه الاله داكان الذي اظهر فضله على شعب ماري وهيت[٤٢] خارطة رقم (٣).

ومن لفظ Didhi التي تعني حرفيا مدينة اله النهر ان المدينة لها علاقة ما باحد معبودات العراقيين القدماء وهو اله النهر الذي ورد ذكره في المادة الثانية من قانون حمورابي وتنص النصوص الأخرى حيث يحتكم إليه في بعض القضايا الخاصة[٤٣].

لقد ورد ذكر اسم المدينة في حملة الملك الأشوري توكولني ننورتا الثاني الذي زار هيت لتقديم النذور وليس فاتحا سنة ٨٨٩-٨٨٤ق.م اذ يتوفر حجر يسمى الاشميتا حيث يتكلم خيار الالهه . ويروى ان مادة البناء التي صنع منها تمثال هبل في مكة المكرمة قبل الاسلام اخذ من حجر هيت .

ومن المعروف إن سيدنا إبراهيم عليه السلام قد سلك طريقا يمر بهيت عند خروجه من أور إلى حران عبر الفرات مارا بمدينة الرمادي ـ هيت ـ حديثه ـ عنه ـ البوكمال ـ ثم سوريا[٤٤].

ومما يذكر في هذا الباب ان نبي الله نوح طلا سفينته بمادة القير من الداخل والخارج وكان من ارض هيت[٤٥].

خارطة رقم (٣)

العلاقات الدينية في مدينة هيت القديمة زمن الاكديين والبابليين والاشوريين

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على صالح الهيتي ، طريق القير الى بابل ص٩. واحمد سوسه ، كتاب وادي الرافدين ، ص٨٤. وطه باقر المرشد ، ص١٣.و سلمان الهيتي ، تاريخ مدينة هيت ، ص٦٥

إقليم النقل

ارتبطت هيت بالقرى والمدن المجاورة لها بعدة طرق منها نهريه واخرى بريه إما الطرق النهريه فكانت منها باتجاه وسط وجنوب العراق (طريق القير إلى بابل عبر نهر الفرات ونقل السلع والمواد الغذائية أيضا كذلك فان المراكز البشرية الواقعه في أعالي الفرات ضمن منطقة خديه وعانات وصولا الى مناطق القامين والجابرية (خندانوا) الكرابله حاليا كانت لها مصالح ومنافع متبادله مع مدينة هيت استفادة كثيره من الفرات في نقل بعض السلع الضرورية الى مدينة هيت لكونه هبة الله وارخص أنواع النقل[٤٦].

ومن بين الطرق البرية الطريق الفراتي من بغداد إلى بلاد الشام وكثيرا ما يستخدم في حالات الغزو والحرب.

إن الطريق الرئيسي المشار إليه ظل يؤدي الى نفس الدور حتى يومنا هذا إذ ساهم في إيجاد محطات على جانبي الطريق تطورت فيما بعد إلى مراكز ريفيه ثم إلى مدن ومن المراكز الحضرية والريفية اليوم إلا امتداد لذلك الماضي وهذا ما يؤكد أهميته الطريق في توارث المواضع . وعلى اية حال كان هذا الطريق يمر بهيت إلى الانبار الى بغداد من جهة الشرق ويربطها بأعالي الفرات والوسه وناووسه وحديثه الى عانات والناحية الى التامية (منطقة القائم) الى بلاد الشام من الغرب.

وكانت طرق القوافل التجارية القادمة من الغرب والشرق تسلك هذا الطريق وتمر على الأغلب بمدينة هيت (خارطة ٤).

إن القادم من مدينة بغداد اخذ طريق الفرات فانه يقطع إلى السيلحين ٤ فراسخ زمنها إلى الانبار ضعف المسافة ومن الانبار طريق يخرج من البحيس في البريه قيلتقي عند الرّب (الرمادي حاليا) سبعة فراسخ ومن الرب إلى هيت نجو ١٢ فرسخاً[٤٧].

ونخلص بان الطريق من بغداد إلى هيت نحو ٣١ فرسخا على رأي قدامه بن جعفر إذ الطريق بين الانبار وهيت فيقدر في ضوء النص السابق ١٩ فرسخا أما الطريق من هيت إلى الناووسه فيبلغ ٧ فراسخ ومن الناووسه الى الوسه ٧ فراسخ ومن الوسه الى الفحيميه ٦ فراسخ[٤٨].

وقدر المقدسي المسافة بين بغداد وهيت على أساس المراحل فقال (ومن بغداد إلى السيلحين بريدين ثم إلى الانبار مرحله ثم إلى الترب مرحله ثم إلى هيت[٤٩] مرحلتين ، وعلى هذا الأساس اعتني القول بان المرحلة تساوي ستة فراسخ تقريبا وتجدر الإشارة هنا إلى إن طريق الساعي كان يمر على مقربة من هيت إلى البادية إلى مناطق الشام.

خريطة رقم ٤

المراكز البشرية والتاريخية في اقليم اعالي الفرات وطرق القوافل المارة بها

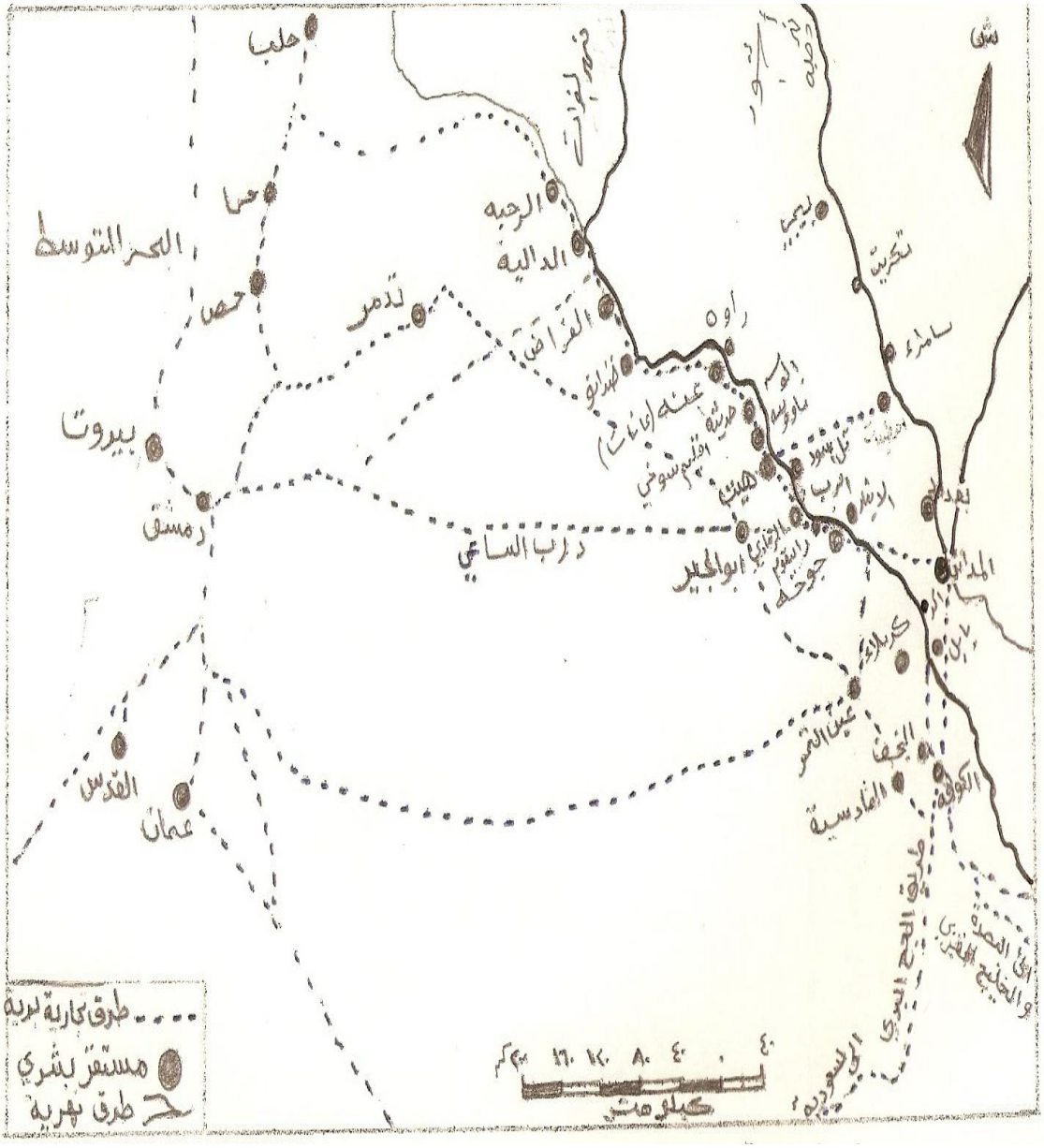

المصدر : الباحث بالاعتماد على .

١-صفي الدين عبدالحق البغدادي ، مراصد الاطلاع ، ج٢ ، ط١ ، ١٩٥٤ ، ص.٨٥٤

٢-طه باقر وفؤاد سفرالمرشد الى مواطن الاثار والحضارة ، المرحلة الاولى ، مديرية الفنون والثقافة ، ١٩٦٢.

الخلاصة :

من خلال استعراض مفردات البحث تبين ان مدينة هيت من المدن الموغلة في القدم ، رافق وجودها العديد من الحضارات التي توالت على بلاد الرافدين ، من زمن السومرين الى الاكدين الى الاشورين جتى الحضارة الاسلامية ، فكانت مدينة هيت حاضرة في كل هذه الاحداث لكن شدت اقاليمها حالات تقدم وتراجع .

فولت علاقاتها المراكز البشرية في جنوب العراق زمن السومرين ، كذلك كان لها علاقات اقليمية تصل مدينة بابل زمن الاكديين الذين استقروا تصل الى وصط العراق زمن الاكديين وزمن الاشورين الذين استقروا في شمال العراق ، وتعدت لتصل في علاقاتها الى الحضارة الفرعونية في مصر .ولاحظنا بروز العلاقات الاقتصادية بشكل واضح للمدينة ، وسبب ذلك يعود الى وجود مادة القير والنفط الذي يعتمدة المصريون في صناعة المومياء واخذه السومرين والبابلين في الاستعمالات المنزلية والانشاءات وبناء المدن ومنها بابل .

كذلك لعبت المدينة دورالمخزن والمتجر فكانت ميناء ترسوا فيه السفن وتغادر منه ليس لنقل القير فقط بل لنقل الاغذية والمنتجات الاخرى القادمة من بلاد الشام الى العراق والعكس واستمترت هذه الحالة الى وقت قريب . كذلك ان المدينة هي اول من صدر فن صناعة السفن (الكاية) والناعور والمطاحن الى المناطق المجاورة مثل عانات والانبار ثم الى وسط العراق حتى يقال ان البابليين جلبوا من مدينة هيت خبراء لصناعة وسائط نقل المياه الى جنائنهم المعلقة .

كما لمدينة هيت اقليم ديني واسع امتد من وسط العراق الى اعالي الفرات الى بلاد الشام ثم الى شمال العراق ، فقد دان للاله (داكان) اهالي هذه المناطق وكان موضعه في هيت اذ قصده ملوك معروفين لتقديم القاربين والهدايا مثل سرجون الاكدي وحمورابي وتوكولني ننورتا الثاني ، وقد اختفت هذه الاهمية زمن دخول الاسلام .

وتمتعت هذه المدينة بعلاقات علمية وثقافية وصلت الى مناطق الانبار والحيرة ثم الى مكه والطائف زمن دخولها الاسلام ، فقد احتضنت في ثراها عدد من علماء الامه لهم وقع في الحضارة الاسلامية نذكر مهم عبدالله بن المبارك واويس القرني رحمهم الله .

كما كانت للمدينة علاقات خاصة بطرق النقل النهرية والبرية التي تصل من بلاد الشام باتجاه وسط وجنوب العراق مرورا بمدينة هيت وهي(هيت) تمثل مرحلة من مراحل الطريق الفراتي من بغداد الى الرقه الى بلاد الشام ومحطة استراحه للقوافل التجارية والجيوش المحاربه ومنذ القدم حتى الان .

اذن نحن الان امام مدينة صحيح انها صغيرة بمنشائتها العمرانية لكنها عظيمة بمكنوناتها المادية اثرت من خلال الوظائف المحلية التي مارستها في محيطها القريب لتخرج بابعاد اقليمية وصل مجال تاثيرها الى اغلب ارض بلاد الرافدين وعلى مر العصور .

هذه العلاقات الاقليمية وخاصة الاقتصادية اخذت تنكمش الان على الرغم من وجود صناعات تقطيع الاحجار وصناعات الاسمنتية الموجودة في محيط المدينة القريب والتي لها نطاق اقليمي واسع على مستوى العراق ، لكن اهمال المورد الرئيسي الذي عرفت به المدينة ومنذ القدم بل اسمها مقترن به وهو القير الذي اخذ كمادة بناء وكملاط للجدران ورصف الطرق والقنوات للعديد من المدن العراقية ودخل في العديد من الصناعات المنزلية ، بالإضافة إلى ما عرفت به المدينة من البارعة في فن صناعة النواعير والمطاحن واستخراج الملح والكبريت . فلو ان هذه الموارد لاقت اهتماما من قبل الجهات المعنية لاسيما ان مادة القير الموجودة ضمن منطقة الدراسة يمكن اجراء بعض الجهود الهندسية والفنية للتحول الى مادة شبيه بالقير المنتج في مصفى الدورة ذات النوعية الجيدة.

هذا الحال يمكن ان يعيد بعض المكانة التي كانت المدينة تتمتع بها ويعزز من مداخيل المدينة ودروها الاقليمي ، هذا بالنسبة لمادة القير . فكيف لو فتحت اقسام اخرى للتصنيع واحدات صناعة للملح واستخراج الكبريت كمواد اولية متوفرة في البيئة المحلية لمدينة هيت . لاشك ان الاثر سيضاعف والمدينة ستنشط والانتاج سيخدم الاقتصاد المحلي والوطني.

الهوامش

(١)الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٤ ، لايزبك ، ١٨٧٠/١٨٦٦ ، ص ٩٩٧ .

(٢)ابن خلكان ، ابي العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر ، وفيات الاعيان وانباء الزمان ، ج٣ ، ص٣٢.

(٣)حلمي ابراهيم ، هيت وينابيعها ، مجلة لغة العرب الطبعة الاولى ١٩١٢ ، ص٢٥٣.

(4)Gavin Young, Iraq Lond of tow rivars Collins. St jamess place-London -1980. P.85

(٥)طه باقر وفؤاد سفر ، المرشد الى موطن الاثار والحضارة ، المرحلة الاولى –بغداد الى عنه الى القائم ، مديرية الفنون والثقافة بوازرة الارشاد ١٩٦٢ ، ص ١٠.

(٦)السعدي ، سعدي محمد صالح ، هيت مستوطنة حضرية في تاريخ ما قبل التاريخ ، بحوث ندوة هيت ، دار الكتب الوثائق سنة ٢٠٠٠ ، ص ١١٧-١١٨.

(7) Gavin Young, op cit. p85.

(٨) الهيتي صالح فليح ، طريق القير من هيت الى بابل ، مجلة الجمعية الجغرافية العدد ٢٣ ، ١٩٨٩ ، ص٨.

(٩)الهيتي ، ابراهيم سلمان ، تاريخ مدينة هيت ، ، ندو هيت ١٩٩٨ مصدر سابق ، ص٦٣.

(١٠) الخطيب ، رشاد ، هيت في اطارها القديم والحديث ، ج١ ، الطبعة الاولى ، مطبعة اسعد ، بغداد ، ص١٢.

(*) يذكر إن النخلة لم تكن موجودة في هيت بل نقلت إليها من موطنها الأصلي (بابل) عن طريق العاملين الذين يأتون من بابل للعمل في القير والزفت فيأتون بالتمر معهم وبعد تناوله يرمون النواة على الأرض ، وبعد ان تنبت تصبح نخلة وهكذا نقلت إلى القرى المجاورة حتى وصلت إلى عنه

(١١)سوسه احمد ، تاريخ حضارة وادي الرافدين ، الطبعة الاولى ، دار الحرية للطباعة والنشر بغداد ، ١٩٨٣ ، ص٨٥.

(١٢) الخطيب ، رشاد ، مصدر سابق ، ص١٤.

(١٣) ليسترنج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، بغداد ، ١٩٥٤ ، ص ٨٩-٩٠.

(١٤) الخطيب رشاد ، ج٢ ، مصدر سابق ص ٦٢.

(*)إن العمال البابليون الذين يبقون للعمل في هيت ساهموا بتطوير المدينة بعد أن كانت مجموعة من العشش والبيوت الصغيرة وهم من ساهم في حفر خندقها وبناء أسوارها

(15)World Geography Of Petroleum, American Geographical Society Special Publication 1950. p. 160.

(١٦)المولى مشعل فيصل غضيب ، التركيب الداخلي لمدينة هيت ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية التربية جامعة الانبار ، ٢٠٠١.

(١٧) الهيتي ابراهيم سلمان ، مصدر سابق ص ٦٥.

(١٨) توماس ميخائيل افندي ، هيت معلومات عمومية ، مجلة النجمة الموصلية ، السنة الساعة ١٩٣٥.

(١٩)الهيتي ابراهيم سلمان ، مصدر سابق ص٦١.

(٢٠) طه باقر وفؤاد سفر ، مصدر سابق ص ١٠.

(٢١) الاعظمي محمد طه ، ندوة هيت ، مصدر سابق ص ٨٦.

(٢٢) الاعظمي محمد طه ، المصدر نفسه ص ٨٧.

(٢٣) الوا موسيل ، الفرات الاوسط ، رحلة وصفية ودراسات تاريخية ، ترجمة الدكتور صدقي حمدي وعبدالمطلب عبدالرحمن ، مطبوعات المجمع العراقي ١٩٩٠ ، ص ٥٢.

(٢٤)ابو علي بن رسته ، الاعلاق النفيسه ، ج٧ ، ليدن ابريل ، ١٨٩١م ، ص ١٠٧.

(٢٥)احمد بن ابراهيم المعروف بابن الفقيه الهمذاني ، مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، ابريل ١٣٠٢م. وياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٣ ، ص٥٩٥.

(٢٦)المسعودي ابو الحسن ، ت ٣٤٥هـ ، التنبيه والاشراف ، بيروت ، ١٩٨٨ ، ص٣٦.

(٢٧)لسترنج مصدر سابق ، ص٩١. وابن رسته ، مصدر سابق ، ص٩٠.

(٢٨)الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٦٨٣.

(٢٩) الحموي ، ياقوت ، المصدر نفسه ، ص٧٠٢ و ص ٩٣٣-٩٣٦.

(٣٠)الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، ص٩٢-٩٣.

(٣١)العسقلاني ، احمد بن حجر ، ت٨٥١هـ ، الاصابة في تمييز الصحابة ، ترجمة مدلاج ، تحقيق البيجاوي ، ق٦ ، ص٦١.

(٣٢)البلاذري ، كتاب الفتوح ، ص ٢٤٦.

(٣٣) الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج١ ، المصدر السابق ، ص٢٥١.

(٣٤) الحمداني ، طارق ، امارة ال ابو ريشه في اعالي الفرات وبواديه ، المؤتمر العلمي الاول لجامعة الانبار ١٩٩٢ ، ص٥.

(٣٥)الراوي ، عبدالناصر صبري شاهر وحسن كشاش الجنابي ، دور العامل الاداري في تطور المراكز الحضرية في محافظة الانبار ، مجلة كلية التربية للعلوم الانسانية الاقتصادية ، جامعة الانبار ٢٠٠٥.

(٣٦)البلاذري ، فتوح ، ص٢٩٩. ومعجم البلدان ، ص٧٠٢.

(٣٧)البلاذري ، فتوح ، ص٢٩٩.

(٣٨)الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج٣ ، ص٧٧٦.

(٣٩) الخطيب ، رشاد ، ح١ ، ص٤٢.

(٤٠)ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الملوك والامم : ١٠٣/١٠ – ١٠٤.

(٤١)الاعظمي ، محمد ، مصدر سابق ، ص٨٦.

(٤٢)الاعظمي ، محمد ، المصدر نفسه ، ص ٨٧.

(٤٣) الاعظمي ، محمد ، المصدر نفسه ، ص ٨٧.

(٤٤)الخطيب ، رشاد ، ج١ ، ص٤٣.

(٤٥)ماروينى ، نابليون ، هيت وينابيعها المعدنية ، مجلة المشراق ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٠٣.

(٤٦)الهيتي ، صالح فليح ، طريق القير من هيت الى بابل ، ص ٩.

(٤٧)عبدالمنعم شاكر محمود ، دليل محافظة الانبار ، بغداد ، ١٩٧١ ، ص ٢٤.

(٤٨)طه باقر ، النفط في حضارة وادي الرافدين ، العدد ٣٧ ، بغداد ، ١٩٦٥ ، ص٢.

(٤٩)المقدسي ، ابو عبدالله محمد بن احمد ، المتوفي ٣٨٢هـ ، احسن التقاسيم الى معرفة الاقاليم ، مكتبة خياط بيروت ، ص١٣٤.